٢ ـ مهديو بنى العباس*

بقلم الأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

ثم إن العباسيين قطعوا أمل العلويين بتلقيبهم عبد الله بن محمد بن على السفاح بالقائم والمرتضى، قال الخطيب « أخبرنى الحسين بن عمر القصاب . . . عمره الأعمش؛ وأخبرنا عبد العزيز بن على الوراق . . . عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى — ص — قال: يخرج منا رجل فى انقطاع الزمن وظهور من الفتن يسمى السفاح يكون عطاؤه المال حسياً [1]»، ونقل رواية بنى العباس عن رسول الله — ص — أنه قال: « والله لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأدال الله من بنى أمية وليكونن منا السفاح والمنصور والمهدى» [2]، فلذلك تلقب أبو جعفر بالمنصور، وكان أعداء بنى العباس يضعون إزاء هذه الأحاديث أحاديث تكذبها وتشير إلى أنهم الجبابرة الذين سيحاربهم المهدى العلوى، ولما حصرت صدور بنى على عليه السلام، واستأثر بنو العباس بالسلطان والملك وطاردوهم فى البلاد وشردوا بمن يطالبهم بحقه ثار مهدى الحسنيين « محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب — ع — على المنصور بالمدينة، وتلقب بالمهدى، قال ابن عنبة « وإنما لقب المهدى للحديث المشهور عن رسول الله — ص — أن المهدى من ولدى اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى، وتطلعت إليه نفوس بنى هاشم وعظموه، وكان جم الفضائل كثير المناقب، وحكى الشيخ أبو الفرج الأصفهانى أن الصادق أخذ بركابه ذات يوم حتى ركب، فقيل له فى ذلك فقال: ويحك هذا مهدينا أهل البيت، وكان المنصور قد بايع له ولأخيه إبراهيم مع جماعة من بنى هاشم، فلما بويع لبنى العباس اختفى محمد وإبراهيم مدة خلافة السفاح، فلما ملك المنصور وعلم أنهما عازمان على الخروج جد فى طلبهما وقبض على أبيهما وجماعة من أهلهما ... [3] ».

قال مصطفى جواد: ولما قتله المنصور أى سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة، أراد أن يضعف هوى الناس فى مهدى بنى على — ع — الذى سيتولى المهدية بعد النفس الزكية محمد بن عبد الله المذكور، فلقب ابنه محمداً بالمهدى، وسلك المهدى شتى السبل لتوثيق ذلك، ومن ذلك ما دبره مع البطريق الرومى صاحب الأرحاء التى كانت فى الجانب الغربى من دار السلام فى صدر الدولة العباسية،

---

* ـ بقية المنشور فى الجزء الرابع : أغسطس سنة ١٩٣٣

١ ـ كذا ، فى تاريخ الخطيب المطبوع ولعل الأصل « حساباً » أى كفاية .

٢ ـ الخطيب « ١٠ : ٤٨ »

٣ ـ عمدة الطالب فى انساب آل أبى طالب ص ٨١

قال الخطيب : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع . . . قال أنبئت أن يعقوب ابن المهدى سأل الفضل بن الربيع عن أرحاء البطريق فقال: أخبرنى إسحاق بن محمد بن إسحاق قال له: من هذا البطريق الذى نسبت إليه هذا الأرحاء ؟ فقال الفضل : إن أباك — رضى — لما أفضيت إليه الخلافة قدم عليه وافد من الروم فاستدناه ثم كلمه بترجمان عنه . فقال الرومى: إنى لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولا غرض وإنما قدمت شوقا إليه وإلى النظر إلى وجهه، لأنا نجد فى كتبنا أن الثالث من أهل بيت نبى هذه الأمة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ، فقال المهدى : قد سرنى ما قلت ولك عندنا كل ما تحب ، ثم أمر الربيع بإنزاله وإكرامه ، ثم خرج يتنزه فمر بموضع الأرحاء فنظر إليه ، فقال للربيع : أقرضنى خمسمائة ألف درهم أبنى بها مستغلا يؤدى فى السنة خمسمائة ألف درهم فقال : أفعل ، ثم أخبر المهدى بما ذكر فقال : أعطه خمسمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وما أغلت فادفعه إليه ، فاذا خرج إلى بلاده فابعث به إليه فى كل سنة ، قال : ففعل ، فبنى الأرحاء ثم خرج إلى بلاده فكانوا يبعثون بغلتها إليه حتى مات الرومى فأمر المهدى أن يضم إلى مستغله ».[1]

ولم يقصر بنو العباس هذا التوليد على أنفسهم لئلا ترتاب بهم الأحلام وتستكذبهم الأفهام، فقد زعم الرواة فى عهدهم أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية بن أبى سفيان وكان موصوفاً — على ما قالوا — بقراءة الكتب ،فقال له معاوية : أتجد نعتى فى شىء من كتب الله ؟ قال : إى والله لو كنت فى أمة لوضعت يدى عليك من بينهم ؛ قال : فكيف تجدنى ؟ قال : أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم، قال معاوية : فسرى عنى ، ثم قال الكتابى : لا تقبل هذا منى، ولكن من نفسك ، فاختبر هذا الخبر ، قال معاوية : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء، يحتجز الأموال ويصطنع الرجال ويجتنب الخيول ويبيح حرمة الرسول ، قال: ثم ماذا ؟ قال: ثم تكون فتنة تشعب بأقوام حتى يفضى الأمر بها إلى رجل أعرف نعته، يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس ،فيجتمع عليه من آلك ، وليس منك،لا يزال لعدوه قاهراً وعلى من ناواه ظاهراً،ويكون له قرين مبير [2] لعين ، قال : أفتعرفه إن رأيته ؟ قال : شدما ، فأراه من بالشام من بنى أمية، فقال : ما أراه ههنا ؛ فوجه إلى المدينة مع ثقات من رسله ، فاذا عبد الملك يسعى مؤتزراً فى بده طائر،فقال للرسل : ها هو ذا » .

فالأمور التى تضمنها هذا الخبر — وإن كنا لا يعنينا صحتها ولا كذبها — ظاهرة الوضع عليلة العلة ، وزيدك إيقاناً بتوليدها خبر ثان رواه المبرد قال: «وحدثنى ابن عائشة عن حماد بن سلمة فى إسناد ذكره: أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم ، فقال له عبد الملك يوما وهو فى عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المرى من مرة غطفان يريد المدينة : « ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله

١ — الخطيب « ١ : ٩٢ » ؛ قال مصطفى جواد : وأنا أعجب للمهدى كيف قبل هذا القول وارتضاه لنفسه ؟ فان كانت الارض ملئت جوراً قبله،فان ذلك عهد عمه وعهد أبيه المنصور وفكأنه بنى قصره بنقض أساسه

٢ - ذكروا أن المبير هو الحجاج

— ص — ؟ » ،فقال له يوسف: « جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه » ،فنفض عبد الملك ثوبه [١] ، ثم قال: معاذ الله ، قال له يوسف : ما قلت شاكا ولا مرتاباً وإني لأجدك بجميع أوصافك . قال عبد الملك : ثم ماذا ؟ قال : يتداولها رهطك ، قال : إلى متى ؟ قال : الى أن تخرج الرايات السود من خراسان [٢] » ،فوجود الرايات السود يدل على وضع بنى العباس لهذا الخبر ، وقد قدمنا من الأسباب ما يكفى صاحب الحق نصب التحرى ويطرد عن نفسه الشك .

وبقى بنو العباس يحتكرون المهدية ويستبدون بها، وإن كانت حججهم مبنية على اختلاق لا يمكن أن نحسبه شبهة فكيف نعتده وثيقة بينة ؟ أما الخبر بل الحديث الذى رواه الخطيب فى أن المهدى من بنى العباس — وقد ذكرناه — فقد رواه هو مرة ثانية وصورته « عن أبى سعيد، قال : سمعت رسول الله — ص — يقول: منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدى، فأما القائم فتأتيه الخلافة لم يهرق فيها محجمة من دم، وأما المنصور فلا ترد له راية، وأما السفاح فهو يسفح المال والدم، وأما المهدى فيملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلماً » ذكره الخطيب بهذه الصورة الجديدة فى ترجمة عبد الله بن أحمد الخليفة العباسى الملقب بالقائم بأمر الله ، ليبرهن أنه هو القائم الموعود ، وكان قد بويع بالخلافة سنة « ٤٢٢ » هـ ،وكان أبوه القادر بالله جعله ولى عهده ولقبه ذلك اللقب ، ولعمرى لم ينفع القائم هذا الحديث الذى جاد به الخطيب عليه ونال به فى عهده رياسة المحدثين ، لأنه كان قد قاسى ذل الدولة البويهية فى آخر أيامها بالعراق وكابد سلطة بنى سلجوق فى عنوان دولتهم بالعراق، فكان خليفة مخضرم دولتين ومصدم عصرين وملتقى قهرين .

فالآن قد تبين لنا كيف أثرت المهدية فى تاريخ الاسلام وبدلت كثيراً من مجاريه ، وكانت نتائجها بحسب الاجتهاد الذى يراه مهدى زمانه وقائم أوانه ، ولكن كثر مع ذلك الفساد وتخوفت أطراف البلاد وكثرت الفتن والحروب وضعفت الدولة الاسلامية، ولا سيما فى العهد العباسى ، واشتبه المهديون والمضلون، وارتكبت محارم الدين باسمه وثلمت دعائمه بشبهة دعوى حكمه ، وكانت مضار هذه النحلة أكبر من منافعها، لأن الشعوبية والقومية الفارسية المجوسية لاذنابها واطمأنتا فى كنفها ، حتى دس أصحابها أن المذكور يأتى بكتاب جديد وبسنة جديدة فى يوم على العرب شديد [١] . فانظر إلى مصاير الأمور والاعيب الدهور !!

مصطفى جواد

[بغداد]

---

١) هذه العادة الدالة على البراءة لا تزال معتادة فى العراق ولكنهم ينفضون الجيوب أى الازياق

٢) الكامل « ٣ : ١٣٨ — ٩ » طبعة المطبعة الازهرية

٣) بشارة الاسلام ١١٩ و ١٢٤ و ١٤٣ و ١٥٨ و ٢٩٢ و ٣٠١ و ٣٠٥ و ٣٠٩ و ٣١٥